العرب
الأربعاء 2020/03/18
السنة 42 العدد 11650

العراقيون ضحايا حرب ليسوا طرفا فيها

فاروق يوسف
كاتب عراقي

فيما تكتفي الولايات المتحدة بالرد على عمليات القصف التي تتعرض لها قواتها الموجودة في العراق، فإن الميليشيات الموالية لإيران التي تنفذ تلك العمليات تصر على أن تضحياتها هي جزء من معركة تحرير العراق من بقايا الاحتلال الأميركي المتمثل بقوات التحالف الموجودة بناء على اتفاق سابق مع الحكومة العراقية. وهو شعار وطني يخفي بين ثناياه الكثير من الحقائق الملغومة.

فتلك الميليشيات التي تُدار من قبل الحرس الثوري الإيراني إنما تتمظهر بصفة الوطنية ليس إلا. أما واجبها الحقيقي فيرتكز على القيام بحماية المصالح الإيرانية والحرص على إدامة الهيمنة الإيرانية على المشهد السياسي برمته، من غير السماح بحدوث انهيارات محتملة هنا أو هناك، يمكنها أن تضعف النظام السياسي القائم في العراق وهو نظام وضع جزءا مهما من إمكانات العراق الاقتصادية في خدمة الاقتصاد الإيراني المحاصر.

العراق بلد من غير راع. هذا ما كانت الولايات المتحدة قد فرضته عام 2003 وحرصت إيران على أن تلتزم به ما دامت لها القدرة على تحويل ذلك البلد المدمر إلى حقل تجارب

في وقت سابق دعا مقتدى الصدر، وهو زعيم ميليشيا كانت حاضنة لكثير من الميليشيات التي انشقت عنها، إلى تشكيل جيش عالمي للمقاومة. كانت الدعوة إيرانية بالتأكيد، وكان القصد منها التخفيف من الضغط الأميركي على حزب الله اللبناني من خلال تنويع الجبهات التي تحارب عليها الولايات المتحدة. ما يجري الآن تحت ذريعة المطالبة بإخراج القوات الأميركية من العراق هو نوع من التنفيذ الفعلي لتلك الدعوة.

ذلك لأنه ليس من المتوقع أن تجبر الميليشيات الإيرانية الولايات المتحدة على سحب قواتها من العراق، ولكن المطلوب أن تبقى تلك القوات رهينة لحالة طوارئ بحيث تبقى في وضع استنفار دائم وهو ما يمكن أن يشكل ضغطا متعبا على القيادة العسكرية الأميركية، قد يدفع في اتجاه إعادة النظر في ذلك الوجود الذي صار مكلفا مقارنة بما يمكن أن يدره من أرباح.

المطلوب إيرانيًا إلهاء الولايات المتحدة من خلال إزعاج قواتها.

ذلك من وجهة نظر النظام الإيراني قد يؤدي إلى واحد من احتمالين. فإما أن تتساهل الولايات المتحدة في تنفيذ العقوبات المفروضة على حزب الله اللبناني الذي يعاني من تداعيات الأزمة المصرفية اللبنانية، وإما أن تبحث الولايات المتحدة عن وسطاء يضعون لها حلولا لتسوية ممكنة مع إيران.

أما العراق فإنه حطب الموقد.

فالعراق لا يملك قراره السياسي، وليس فيه ما يشير إلى وجود سلطة مستقلة، وسيادته على أراضيه صارت موضع شك، أما ثرواته فإنها لم تلعب دورا إيجابيا على مستوى تحسين سبل العيش فيه.

العراق بلد من غير راع. هذا ما كانت الولايات المتحدة قد فرضته عام 2003 وحرصت إيران على أن تلتزم به ما دامت لها القدرة على تحويل ذلك البلد المدمر إلى حقل تجارب.

كان من المتوقع دائما أن يكون العراق ساحة لأيّ حرب محتملة بين الولايات المتحدة وإيران. الطرفان لم يذهبا إلى ذلك الخيار حرصا منهما على إبقاء العراق رهين اللحظة الحرجة التي قد تمتد لعقود. في سياق ذلك التفكير المشترك يمكن النظر إلى العراق باعتباره الهبة المحتملة في إطار أيّ تسوية نهائية بين الطرفين. بمعنى أن يقوم أحدهما بإهداء العراق إلى الآخر.

في النهاية إما أن يكون العراق أميركيا وإما يكون إيرانيا. ذلك يتطلب وقتا طويلا من الانتظار إلى أن تنضج الفكرة.

في ما تبقى من الزمن تستمرُّ العمليات العسكرية التي يدفع ثمنها العراقيون، ويبقى العراق بدولته وشعبه وثرواته مشروعا مؤجلا.

حين اخترعت إيران الحشد الشعبي فإنها ضمنت القدرة على الاستمرار في حوارها المسلح مع الولايات المتحدة، التي وجدت فيه هي الأخرى مناسبة لإعفاء نفسها من أيّ مسؤولية قانونية يمكن أن تقع على عاتقها من جراء ما حدث للعراق.

الحرب بين الولايات المتحدة وإيران تتجسد من خلال أشكال وطرق مختلفة، غير أن الشيء الوحيد الذي لن يتغير هو أن ضحايا تلك الحرب هم العراقيون.

الخوف من كورونا يجمع الناس والسياسيون يفرقون بينهم

علي قاسم
كاتب سوري مقيم في تونس

لنبدأ بذكر هذا الرقم؛ 646 ألف شخص يموتون بسبب الأنفلونزا الموسمية (أمراض البرد) في العالم سنويا، لا نسمع عنهم شيئا عادة، وهذا الرقم منقول عن مسؤولين أميركيين في مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها. لماذا الخوف من فايروس كورونا المستجد إذا؟

ما يخيف في حالة كورونا ليس عدد الوفيات الناجم عنها فقط، بل حقيقة أن العلماء لم يصلوا بعد إلى لقاح للفايروس، إضافة إلى ما يروجه السياسيون والاقتصاديون.

الصينيون "فايروسات تمشي على قدمين"، هكذا اشتكى المدرب الإسباني لنادي ووهان الصيني لصحيفة "زود دويتشه تسايتونج" الألمانية الصادرة الاثنين، أثناء تواجد بعثة الفريق الصيني في إسبانيا نهاية يناير الماضي.

وبات يُنظر إلى مدينة ووهان على أنها مصدر "الشرور"، فمنها انطلق الفايروس المستجد، وانتشر في أنحاء العالم.

لم يقتصر التراشق بالاتهامات حول أصل الفايروس، على المستوى الشعبي، بل كان الرئيس الأميركي دونالد ترامب، آخر المغردين، حيث وصف فايروس كورونا المستجد بـ"الفايروس الصيني".

ومن سخريات القدر أن الجائحة القاتلة التي انتشرت في أعقاب الحرب العالمية الأولى في أوروبا والعالم، سُمّيت بالأنفلونزا الإسبانية، وهي جائحة قاتلة خلفت ملايين القتلى، وتقدر الإحصائيات الحديثة أن حوالي 500 مليون شخص أصيبوا بالعدوى وأظهروا علامات إكلينيكية واضحة، وما بين 50 إلى 100 مليون شخصا توفوا جراء الإصابة بالمرض.

وأثار الوباء حينها جدلا كبيرا حول مصدره، وحاول البعض إلصاقه بالصين، التي كانت واحدة من بين أقل مناطق العالم تأثرا به، وكانت هناك ادعاءات أخرى بأن أصل الوباء يعود إلى الولايات المتحدة.

وفي عام 2014، قال المؤرخ، مارك همفريز، إن تعبئة 96 ألف عامل صيني للعمل خلف الخطوط البريطانية والفرنسية ربما كانت مصدر الوباء.

ولم يجد تقرير نُشر عام 2016 في مجلة الجمعية الطبية الصينية أي دليل على أن فايروس عام 1918 نُقل إلى أوروبا عبر الجنود والعمال من جنوب شرق آسيا والصين، بل على العكس، وجد التقرير أدلةً على أن الفايروس انتشر بين الجيوش الأوروبية لعدة أشهر، وربما سنوات، قبل وباء 1918.

ورغم أن الخوف من فايروس كورونا اليوم قد وحّدَ الجميع، إلا أنه ساهم أيضا في تفريقهم، وباتت الدول واحدة إثر الأخرى، تتخذ قرارات بعزل نفسها، ومنع السفر منها وإليها، تماما مثلما فعل البشر، الذين حددوا مسافة متر ونصف فاصلا بينهم، وامتنعوا عن المصافحة.

استطاعت كورونا أن تخرج الدوافع الغريزية المدفونة داخل كل منا؛ "اللهم أسألك نفسي"، ليس فقط على مستوى الأفراد بل على مستوى الدول أيضا.

في الربع الأول من القرن الماضي، عندما كانت الكوليرا تجتاح المدن، كان السكان يهرعون إلى الأرياف والجبال، يعزلون أنفسهم داخل الكهوف أحيانا، حاملين معهم مواد غذائية بسيطة، يبقون هناك إلى أن ينتهي الوباء، الذي اعتادوا أن يطلقوا عليه اسم "الريح الأصفر".

ما يحدث اليوم أمر مشابه، حيث هرع الجميع لشراء ما يستطيع شراءه من مواد غذائية، وعزل نفسه وأسرته، وتم ذلك غالبا بأمر حكومي.

وقرّرت الحكومات، تباعا، إغلاق الحدود الجوية والبرية والبحرية للبلاد، لتعزل نفسها عن العالم، في مسعى للحدّ من تفشّي الفايروس المستجدّ، مستثنية مرور السلع والبضائع، ورحلات لإجلاء مسافرين عالقين، بعد أن وجد آلاف المسافرين أنفسهم عالقين في المطارات.

وأغلقت المطاعم والمقاهي وأماكن السهر، وتم منع التجمعات، على غرار النشاطات الثقافية والرياضية، والحفلات والأسواق، وغيرها من أماكن التجمهر، وطال الحظر في بعض الدول وسائل النقل العام وفرض منع التجول. ولم يستثن الإغلاق أماكن العبادات والمدارس والجامعات.

وأعلنت فرنسا أنها في حالة حرب، واستخدم الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، الذي قال إن التجمعات العامة والاجتماعات العائلية أو بين الأصدقاء لم يعد مسموحا بها حتى وإن كانت في المتنزه أو في الشارع، العبارة مرارا، مرددا "نحن في حالة حرب"، معلنا تشديد القيود المفروضة على التنقّل، وإرجاء الدورة الثانية من الانتخابات البلدية.

أن يعزل الأفراد أنفسهم أمر محمود، ولكن أن تعزل الدول نفسها شيء آخر تماما، خاصة بعد أن أغرقتنا تلك الحكومات بالحديث عن العولمة.

تداعيات الوباء أخطر بكثير من الوباء نفسه، وخسائر تلك التداعيات على الاقتصاد العالمي يمكن تصورها من الرقم الذي كشف عنه صندوق النقد الدولي الاثنين، وهو تريليون دولار، مخصصة لإقراض ومساعدة الدول الأعضاء من أجل مكافحة انتشار الفايروس المستجد.

الإجراءات المتخذة تثير الرعب، وقد أثارته بالفعل، لم يعد للناس من حديث سوى وباء كورونا، وقدرتها على قتل البشر، وما لم تتخذه الحكومات من قرارات صارمة، طالبت به الشعوب، مثلما حدث في تونس التي خرجت فيها واحدة من أكثر صحفها اليومية شعبية بعنوان يقول "الاستهتار بالحجر الصحي جريمة.. الشعب يريد حظر التجول".

وبينما يؤجج السياسيون والاقتصاديون مخاوف الناس من الوباء، ويدفعون بهم إلى الاعتقاد بأن المرض سيقضي على معظم سكان الأرض، تصر جهات علمية على أن هذه المخاوف مبالغ بها، وهذا ما أشارت المتابعات اليومية التي أجرتها جامعة جونز هوبكنز للإصابات بفايروس كورونا المستجد.

ورغم أن حساب معدلات الوفيات أثناء انتشار الوباء أمر صعب، حيث لم يتضح بعد عدد الحالات ذات الأعراض الخفيفة أو تلك التي لم تظهر عليها أعراض الإصابة، يبقى أفضل تقدير لنسبة الوفيات بسبب فايروس كورونا، حتى الآن، 1.4 في المئة، حسب الجامعة التي أكدت أن معظم المصابين بالفايروس يتعافون.

وحتى حدود أمس أصاب فايروس كورونا 184 ألفا تقريبا، في 158 دولة وإقليما، توفي منهم 7165 شخصا، أغلبهم في الصين وإيطاليا وإيران وإسبانيا.

لن تقضي كورونا على البشرية، وقراءة متأنية للأرقام تؤكد ذلك؛ من حق العالم أن يخشى الوباء، ولكن ليس من حق السياسيين استخدام الفايروس لإشاعة الخوف والذعر وتأجيج العداوة بين الشعوب.

الأفضل للبشرية أن تواجه الوباء متحدة، لا أن تغلق الحدود، فذلك لن يمنع من انتشار وباء انتشر فعليا في 158 بلدا وإقليما.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهونى

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

طبيعة الحضور الخليجي في المغرب العربي

عمر علي البدوي
كاتب سعودي

عاد شكل من التواصل المكثف بين دول الخليج العربي وبلدان المغرب العربي، بعد فترة من البرود طرأ على العلاقات بين الطرفين في ما يشبه سحابة صيف عابرة، أخذت الآن في التلاشي بعض الشيء وبرزت بوادر لتأسيس مرحلة جديدة من التواصل والتعاون على أساس المستجدات التي طرأت في طبيعة بعض بلدان المغرب العربي، منذ اندلاع موجة ثانية من الانتفاضات الشعبية أزاحت الرئيس الجزائري عبدالعزيز بوتفليقة، فضلا عن تحولات تونس ما بعد الرئيس الراحل الباجي قائد السبسي، إضافة إلى رمال الواقع الليبي المتحركة منذ قرابة عقد.

العلاقات بين الطرفين تأتي في إطار صعود القيمة العملية لدور دول الخليج العربي في المنطقة، ولم تسلم من تأثير الخلافات البينية التي تتبناها دولة قطر في تعاطيها مع قوى محلية لبعض بلدان المغرب العربي، أو انخراطها في دعم أجندة فاعلين إقليميين تأتي بطبيعة الحال ضد خيارات جيرانها على نحو ما يحدث من دعم المجهود التركي في الواقع الليبي وتوفير الغطاء المالي والإعلامي له عبر منصات الدوحة وقنواتها المؤدلجة .

غير أن الحضور الخليجي في بلدان المغرب العربي أخذ يتعاظم ويعود إلى سابق عهده، ويتضح بشكل جليّ في الفترة الأخيرة، كما أن مستوى الزيارات المتبادلة أخذ في التزايد ولاسيما بين المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية لتبديد ما راج عن برود طرأ على طبيعة العلاقات بين البلدين على خلفية عدد من الملفات المختلفة خلال الفترة القصيرة الماضية.

ولكن الأنباء التي تتوقع أن يزور العاهل المغربي الملك محمد السادس السعودية خلال الأسابيع القليلة القادمة ستقطع مع هذه التكهنات، ويفترض بها أن تزيل الغموض الذي يكتنف طبيعة العلاقة بين البلدين، في حال لم يطرأ تغيير بسبب الآثار المترتبة على انتشار فايروس كورونا والاحتياطات غير المسبوقة التي اتخذتها الكثير من الدول لاتقاء تفشيه.

ويتوقع أن تحيي هذه الزيارة مستوى التنسيق الذي شهدته القمة الخليجية المغربية الأولى عام 2016، عندما التقى قادة ودول مجلس التعاون الخليجي الملك محمد السادس في أول لقاء قمة بعد إرساء الشراكة الاستراتيجية بين منظومة مجلس التعاون الخليجي والمغرب سنة 2011.

وشهدت الرياض زيارات متواترة لقادة عدد من دول المغرب العربي، بدأت بوصول الرئيس الموريتاني محمد ولد الشيخ الغزواني إلى السعودية للقاء الملك سلمان بن عبدالعزيز، وهي ثاني دولة خليجية بعد الإمارات يزورها الرئيس الموريتاني منذ انتخابه في يونيو 2019.

زيارة تزامنت أيضا مع تنقل كل من الرئيس الجزائري المنتخب حديثا عبدالمجيد تبون ووفد مغربي برئاسة فؤاد عالي الهمة مستشار الملك محمد السادس إلى السعودية.

الرئيس الجزائري، عبدالمجيد تبون، اختار الرياض كأول وجهة له يزورها في إطار زيارة دولة، لثلاثة أيام التقى خلالها العاهل السعودي وولي عهده، الأمير محمد بن سلمان، في أول زيارة لرئيس جزائري منذ سنة 2000 وبعد سنوات من الفتور مع العرب.

ومن شأن هذه الزيارة أن ترمم شكل الواقع الليبي الذي تناوشته التدخلات الخارجية بما زعزع استقراره ومكّن لجماعات متشددة استقطبت ميليشيات خارجية وشكلت تهديدا على أمن جيرانه في مصر والجزائر، الأمر الذي حتم على المكون العربي أن يستعيد دوره في ليبيا ويرفد الجماعات الوطنية في مهمتها التاريخية لرفض الوجود الأجنبي المتمثل في عنجهية تركيا وتدخلها السافر في الواقع الليبي.

من جهتها أشارت تقارير إعلامية أن تزامن هذه الزيارات إلى الرياض، يخفي تحركا دبلوماسيا سعوديا يهدف إلى تقديم مبادرة مصالحة وتعاون بين هذه الدول في عدة ملفات إقليمية، وعن مؤشرات حول وجود مبادرة سعودية تهدف إلى تعزيز كتلة المغرب العربي والمساعدة في إيجاد حل لنزاع الصحراء المغربية.